القائف اشتد حزنه على رسول الله صلعم وقال ان قتلت انما انا رجل واحد الى اخر ما سبق فعند ذلك قال رسول الله صلعم لا تحزن ان الله معنا يعني بالنصرة فانزل الله سكينته اي امنته التي تسكن عندها القلوب عليه اي على النبي صلعم او على ابي بكر وهو الاظهر لانه كان منزعجا وايده يعني النبي صلعم بجنود لم تروها يعني الملائكة ليحرسوه في الغار وليصرفوا وجوه الكفار عن رؤيته والقوا الرعب في قلوبهم حتى انصرفوا خائبين كذا في معالم التنزيل انظر لما راى الرسول صلعم الى حزن الصديق قد اشتد لكن لا على نفسه قوى قلبه ببشارة لا تحزن ان الله معنا وكانت تحفة ثاني اثنين مدخرة له فهو الثاني في الاسلام والثاني في بذل النفس والعمر وسبب الموت لما وقى رسول الله صلعم بماله ونفسه جوزي بمواراته معه في حجرته وقام مؤذن التشريف ينادي على منابر الامصار ثاني اثنين اذ هما في الغار ولقد احسن حسان بن ثابت حيث قال

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد ... طاف العدو به اذ صاعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا ... من الخلائق لم يعدل به بدلا

تامل قول موسى عليه السلام لبني اسرائيل كلا ان معي ربي سيهدين وقول النبي صلعم للصديق ان الله معنا فموسى خص المعية به ولم يتعدها منه الى اتباعه ونبينا صلى الله عليه وسلم تعدى منه الى الصديق لم يقل معي لانه امد ابا بكر بنوره فشهد سر المعية ومن ثمة سرى سر السكينة الى ابي بكر والا لم يثبت تحت اعباء هذا التجلي والشهود واين معية الربوبية في قصة موسى عليه السلام من معية الالهية في قصة نبينا محمد صلعم قاله العلامة شمس الدين بن اللبان كذا في المواهب اللدنية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان ابو بكر مع النبي صلعم في الغار فعطش عطشا شديدا فشكى الى النبي صلعم فقال له النبي صلعم اذهب الى صدر الغار فاشرب قال ابو بكر فانطلقت الى صدر الغار فشربت ماء احلى من العسل وابيض من اللبن واذكى رائحة من المسك ثم عدت الى النبي صلعم فقال اشربت قلت نعم قال الا ابشرك يا ابا بكر قلت بلى يا رسول الله قال ان الله تبارك وتعالى امر الملك الموكل بانهار الجنة ان احرق نهرا من جنة الفردوس الى صدر الغار ليشرب ابو بكر فقلت يا رسول الله ولي عند الله هذه المنزلة فقال النبي صلعم نعم وافضل والذي بعثني لا يدخل مبغضك الجنة ولو كان له عمل سبعين نبيا خرجه الملا في سيرته كذا في الرياض النضرة ثم ان ابا جهل نادى مناديا في اعلى مكة واسفلها من جاء بمحمد او دل عليه فله مائة بعير او جاء بابي بكر او دل عليه فله مائة بعير فلم يزل المشركون يطوفون في جبال مكة يطلبونهما وكان مكثهما في الغار ثلث ليال وقيل بضعة عشر يوما والاول هو المشهور كذا في المواهب اللدنية وكان عبد الله بن ابي بكر وفي معالم التنزيل عبد الرحمن بن ابي بكر وهو مخالف لرواية غيره شابا خفيفا ثقفا لقنا يختلف عليهما فيبيت عندهما بالغار فيدلج من عندهما بالسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع امرا يكادان به الا وعاه حتى ياتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام وكانت اسماء بنت ابي بكر تاتيهما من مكة اذا امست بما يصلحهما من الطعام وكان عامر بن فهيرة مولى ابي بكر يرعى عليهما منحة من غنم كانت لابي بكر فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل وهو لبن المنحة فيرجع عنها بغلس فيرعاها فلا يفطن له احد من الرعيان فيفعل ذلك كل ليلة من الليالي الثلاث وفي سيرة ابن هشام قال ابن اسحاق كان عامر بن فهيرة مولى ابي بكر يرعى في رعيان اهل مكة فاذا امسى اراح عليهما غنم ابي بكر فاحتلبا وذبحا فاذا عدا عبد الله بن ابي بكر من عندهما تبع عامر بن فهيرة اثره بالغنم حتى يعفي عليه ثم خرج معهما الى المدينة فاستشهد يوم بئر معونة كما سيجيء في الموطن الرابع وفي الاستيعاب واسد الغابة عامر بن فهيرة مولى ابي بكر كان مولدا من مولدي الازد اسود اللون مملوكا للطفيل بن عبد الله بن سخبرة اخي عائشة لامها وكان من السابقين الى الاسلام اسلم وهو مملوك وكان حسن الاسلام عذب في الله اشتراه ابو بكر فاعتقه وكان يرعى في ثور في رعيان اهل مكة الى اخر ما ذكر في رواية ابن هشام انفا فلما سار النبي صلعم وابو بكر من الغار الى المدينة هاجر معه فاردفه ابو بكر خلفه وشهد بدرا واحدا وقتل يوم بئر معونة وهو ابن اربعين سنة قتله عامر بن الطفيل ذكر ذلك كله موسى بن عقبة وابن اسحاق عن ابن شهاب ويقال قتله جبار بن سلمى كما سيجيء في الموطن الرابع في سرية المنذر الى بئر معونة ان شاء الله تعالى

ذكر خروجهما من الغار وتوجههما الى المدينة وما وقع في سلوك الطريق

ولما مضت تلك الليالي وسكن عنهما الناس جاءهما الدليل بالراحلتين صبح ثلث بالسحر الى باب الغار كما وعده قال ابو الحسن البكري خرج رسول الله صلعم من الغار ليلة الاثنين اخر شهر ربيع الاول وذكر محمد بن سعد انه خرج من الغار ليلة الاثنين لاربع ليال خلون من ربيع الاول كما مر وكذا في سيرة مغلطاي ودلائل البيهقي وفي سيرة ابن هشام اتاهما صاحبهما الذي استاجراه ببعيريهما وبعير له واتتهما اسماء بنت ابي بكر بسفرتهما ونسيت ان تجعل لها عصاما فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة فاذا ليس فيها عصام فحلت نطاقها فجعلته عصاما ثم علقتها به فكان يقال لاسماء بنت ابي بكر ذات النطاقين لذلك قال ابن هشام سمعت غير واحد من اهل العلم يقول ذات النطاقين وتفسيره انها لما ارادت تعليق السفرة شقت نطاقها باثنين فعلقت السفرة بواحد وانتطقت بالاخرى كما مر في اوايل الفصل الاول وحملا عامر بن فهيرة يخدمهما في الطريق وفي سيرة ابن هشام قال ابن اسحاق فلما خرج بهما دليلهما سلك بهما اسفل مكة ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق اسفل من عسفان ثم سلك بهما على اسفل امج ثم استجاز بهما حتى عارض بهما الطريق بعد ان اجاز قديدا ثم اجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخرار ثم سلك بهما ثنية المرة ثم سلك بهما لقفا قال ابن هشام ويقال لفتا قال ابن اسحاق ثم اجاز بهما مدلجة لقف ثم استبطن بهما مدلجة محاج ويقال مجاج فيما قاله ابن هشام ثم سلك بهما مرجح مجاج ثم تبطن بهما مرجح من ذي الغضوين بفتح العين المهملة وسكون الضاد المعجمة ويقال

بسكون الضاد المهملة فيما قاله ابن هشام ثم ببطن ذي كشد ثم اخذ بهما على الجداجد ثم على الاجرد ثم سلك بهما ذا سلم من بطن اعدا مدلجة تعهن ثم على العبابيد قال ابن هشام ويقال العبابيب ويقال العثيانة قال ابن هشام ثم اجاز بهما الفاجة ويقال القاحة فيما قال ابن هشام ثم هبط بهما العرج وقد ابطا عليهم بعض ظهرهم فحمل رسول الله صلعم رجل من اسلم يقال له اوس بن حجر على جمل له يقال له ابن الرداء وفي نسخة ابن الرداح الى المدينة وبعث معه غلاما يقال له مسعود بن هنيدة ثم خرج بهما دليلهما من العرج فسلك بهما ثنية العاير فيما قال ابن هشام حتى هبط بهما بطن ريم ثم قدم بهما قبا على بني عمرو بن عوف لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول يوم الاثنين حين اشتد الضحى وكادت الشمس تعتدل كما سيجيء والتقى في مسيرة قصة سراقة يوم الثلاثاء بعد ذكره ابن سعد كما سيجيء قال ابو بكر رض فاحيينا ليلتنا ويومنا حتى اظهرنا وقام قائم الظهيرة فضربت ببصري هل ارى ظلا ناوي اليه فاذا انا بصخرة فاهويت اليها فاذا بقية ظلها فسويته لرسول الله صلعم وفرشت له فروة وقلت اضطجع يا رسول الله فاضطجع ثم خرجت انظر هل ارى احدا من الطلب فاذا انا براعي غنم لرجل من قريش فسالته فحلب كثبة من اللبن ثم اتيت رسول الله صلعم فوجدته قد استيقظ الى اخر ما ذكر وعن قيس بن النعمان قال لما انطلق النبي صلعم وابو بكر مستخفيين مرا بعبد يرعى غنما فاستسقياه من اللبن فقال ما عندي شاة تحلب غير ان ها هنا عناقا حملت اول الشتاء وما بقي لها لبن فقال ادع بها فاعتقلها النبي صلعم ومسح ضرعها ودعا حتى نزلت وجاء ابو بكر بمجن فسقى ابا بكر ثم حلب فسقى الراعي ثم حلب فشرب فقال الراعي بالله من انت فوالله ما رايت مثلك فقال او تراك تكتم علي حتى اخبرك قال نعم قال فاني محمد رسول الله فقال انت الذي تزعم قريش انه صابي قال انهم ليقولون ذلك قال فاشهد انك نبي وان ما جئت به حق وانه لا يفعل ما فعلت الا نبي وانا متبعك قال انك لن تستطيع ذلك يومك فاذا بلغك اني قد ظهرت فاتنا اورده في المواهب اللدنية قصة العبد الراعي بعد قصة ام معبد قال ابو بكر ثم قلت الرحيل فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا احد منهم الا سراقة بن مالك بن جعشم فقلت يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا قال لا تحزن ان الله معنا حتى اذا دنا منا وكان بيننا وبينه قدر رمح او رمحين او قال رمحين او ثلاثة فقلت يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا وبكيت قال لم تبكي قلت اما والله ما على نفسي ابكي ولكن ابكي عليك فدعا عليه رسول الله صلعم فقال اللهم اكفناه بما شئت فساخت قوائم فرسه في الارض الى بطنها ووثب عنها وقال يا محمد قد علمت ان هذا عملك فادع الله ان ينجيني مما انا فيه فوالله لاعمين على من ورائي من الطلب وهذه كنانتي فخذ منها سهما فانك ستمر بابلي وغنمي في موضع كذا وكذا فخذ منها حاجتك فقال رسول الله صلعم لا حاجة لي فيها فاطلق ورجع الى اصحابه وجعل لا يلقى احدا الا قال كفيتم ما ههنا ولا يلقى احدا الا رده كذا في المنتقى وفي رواية دعا عليه فقال اللهم اصرعه فصرعه فرسه ثم قامت تحمحم وفي مزيل الخفا اسم هذه الفرس العود وقيل كانت انثى وفي سيرة مغلطاي فلما راحوا من قديد تعرض لهما سراقة بن جعشم المدلجي وفي المواهب اللدنية لم تعرض لهما بقديد سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي وروي عن سراقة انه قال جاءنا رسل قريش انهم جعلوا في رسول الله صلعم وابي بكر رضي الله عنه دية في كل واحد منهما لمن قتله او اسره فبينا انا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج اقبل رجل حتى قام علينا فقال يا سراقة اني قد رايت انفا اسودة بالساحل اراها محمدا واصحابه وفي سيرة ابن هشام قال والله لقد رايت ركبة ثلاثة مروا علي اني لاراهم محمدا واصحابه قال فاومات اليه بعيني ان اسكت قال سراقة فعرفت انهم هم فقلت انهم ليسوا بهم ولكنك رايت فلانا وفلانا انطلقوا باعيننا ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فامرت جاريتي ان تخرج بفرسي وهي من وراء اكمة فتحبسها علي واخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه الارض وخفضت عاليه حتى اتيت فرسي وفي سيرة ابن هشام قال سراقة وكنت ارجو ان ارده على قريش واخذ المائة ناقة فركبتها فدفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت فاهويت بيدي الى كنانتي فاستخرجت منها الازلام فاستقسمت بها اضرهم ام لا فخرج الذي اكره فركبت فرسي وعصيت الازلام تقرب بي حتى سمعت قراءة رسول الله صلعم وهو لا يلتفت وابو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الارض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذا لاثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان وفي سيرة ابن هشام كالاعصار فاستقسمت بالازلام فخرج الذي اكره فناديتهم بالامان فوقفوا وركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم ان سيظهر امر رسول الله صلعم فقلت له ان قومك قد جعلوا فيك الدية واخبرتهم اخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني ولم يسالاني الا ان قال اخف عنا فسالته ان يكتب لي كتاب امن فامر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من ادم ثم مضى رسول الله صلعم كذا في المنتقى وفي سيرة ابن هشام قال سراقة فوالله لا اريبكم ولا ياتيكم مني شيء تكرهونه فقال رسول الله صلعم لابي بكر قل له ما تبتغي منا فقال لي ذلك ابو بكر قال فقلت تكتب لي كتابا يكون اية بيني وبينك قال اكتب له يا ابا بكر فكتب لي كتابا في عظم او في رقعة او في خرقة ثم القاه الي فاخذته فجعلته في كنانتي ثم رجعت فلم اذكر شيئا مما كان حتى اذا كان فتح مكة على رسول الله صلعم وفرغ من حنين والطايف خرجت ومعي الكتاب لالقاه فلقيته بالجعرانة قال فدخلت في كتيبة من خيل الانصار فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولون اليك اليك ماذا تريد فدنوت من رسول الله صلعم وهو على ناقته والله لكاني انظر الى ساقه في غرزه كانها جمارة قال فرفعت يدي بالكتاب ثم قلت يا رسول الله هذا كتابك لي انا سراقة بن جعشم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم وفاء وبر ادنه فدنوت منه واسلمت واورد في المواهب اللدنية